



صورة الليل في شعر بشري البستاني

أ. فاطمة سالم محسني شلحة

الملخص

نعلم أن مر العراق على مدى تاريخه الطويل بظروف سياسية واجتماعية صعبة وامتدت هذه الظروف إلى حياة الشعب العراقي بما فيهم الشاعر أيضاً. بعد قراءة دواوين الشاعر تبين للباحثة أن وظفت بشري مختلف الصور لعرض دلالاتها في نصوص شعرها. من ضمن هذه الصور هي صورة الليل التي نريد أن نتطرق بها في هذا المقال والتي وظفتها الشاعر بصورة رمزية للتعبير عما يحدث في وطنها.

المقدمة

بُشري البستاني، شاعرةٌ وناقدةٌ واستاذه عراقيةٌ لها أسلوبها الخاص في إنشاد الشعر. وفي هذه المقالة نَتَطَرَّقُ لدراسة صورة الليل في شعر بشري البستاني. لا بد من أن نذكر بأن تم اخراج هذه المقالة من رسالتي التي هي بعنوان (دراسة وتحليل شعر بشري البستاني، تحت اشراف الدكتور صادق سياحي- جامعة شهيد تشمران) وتبعاً لذلك فقد توزعت المقالة على النحو التالي: العلاقة التي تربط بين الشعر والصورة، الدور الذي تؤديه الصورة وبعد ذلك تكلمنا عن الخيال والعاطفة ودورهما في الصورة الشعرية وبعد ذلك تطرقنا لصورة الليل في شعر بشري وفي الختام عرضنا أهم النتائج التي حصلنا عليها. ولدت بُشري البستاني عام ١٩٥٠ في مدينة الموصل العراقية، تلقت تعليمها الابتدائي والثانوي في مدينتها. درست القرآن والحديث النبوي واهتمت بدراسة الشعر الجاهلي في وقت مبكر. بعد الإنتهاء من الثانوية، إنتقلت إلى الجامعة وحصلت على شهادة البكالوريوس من قسم اللغة العربية جامعة بغداد بدرجة الشرف، ونالت شهادتي الماجستير والدكتوراه من كلية الآداب في جامعة الموصل بدرجة ممتازة مع التوصية بطبع الرسالة. تعمل البستاني أستاذة للأدب الحديث والنقد العربي وتحليل النص في كلية الآداب بجامعة الموصل. حصلت بشري اثناء حياتها العلمية، على العديد من الجوائز والأوسمة. كما أنها شاركت خلال مشوارها العلمي والثقافي في اعمال أكثر من خمسين مؤتمراً علمياً وتقافياً وإبداعياً في العراق والبلدان العربية والعالم، ولها مجموعة دواوين شعرية آخرها «إلبيسي شالك الأخصر وتعالى». (خضير، ٢٠١٥م: ٢٩/ فتحي، ٢٠١٥م) ١ نظرا الى أن الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم (عباس ١٩٥٩ م: ٢٣٠) والشعراء منذ العصر الجاهلي اهتموا بصورة الشعرية سنتطرق في البداية الى مفهوم الشعر ووالصلة التي تربطه بصورة الشعرية وبعدها سنتكلم حول الصورة الشعرية بشكل عام.

أهداف البحث:

١- مدى تأثير ظروف العراق على شعر

الشاعرة وحبها لوطنها.
٢- بواسطة استخدام فنون البلاغة مثل الإستعارة، التشبيه، مجاز والتشخيص قامت بترسيم عواطفها عبر خيالها الشعري.

الأسئلة التي يجيب عنها البحث:

١. اسباب التي أدت إلى كثرة صور الليل في شعر بشري البستاني.
٢. كيف وظفت الشاعرة العاطفة والخيال لرسم صورتها الشعرية.

منهج البحث:

توصيفي - تحليلي

العلاقة التي تربط ما بين الشعر

والصورة

يقول جاحظ في هذا الصدد: « الشعر صياغة وضرب من التصوير؛ قد تكون هذه هي اول نظرة للشعر من حيث علاقته بفن آخر (عباس، ١٩٥٩ م: ١٢) قيل جاحظ شبه هوراس الشعر بالرسم وقيل هوراس قال سيمونيدس: «الرسم شعر صامت والشعر صورة ناطقة». (عباس،

١٩٥٩م: ١٣) ٤

يربط ركسن الشعر بتعبير عن العواطف عن طريق الخيال الواسع لدى الشاعر ويقول: «إنه هو إبراز العواطف النبيلة بطريق الخيال». وفي موضع آخر يوضح لنا بأن «الشعر فيضان من شعور قوي نبع من عواطف تجمعت في هدوء».

(امين، ١٩٦٧م: ٧٩-٨٠) ٥

يقترن الشعر عند النقاد العرب بالتصوير بدليل أن الشاعر والمصور يوصلان المعنى بطريقة بصرية: الشاعر عن طريق الكلمات و المصور عن طريق الألوان وكلاهما يعتمد على المحاكاة. فحين ينقل كل منهما صورة عن العالم بأسلوب فني فإنه يحاكي الواقع الذي يراه ويشعر به، فينقل لنا صورة تتخطى الإطار الحقيقي ولكن لا تترك قوائمه الأساسية.

(ابوشريفه ولافي قزق، ٢٠٠٨ م: ٥٩) ٦
طبعاً «المحاكاة اصطلاح ميتافيزيقي الأصل استعمله سقراط وأفلاطون ويعتقد سقراط بأن الرسم والشعر والموسيقى والرقص والنحت كلها انواع من التقليد».

(عباس، ١٩٥٩م: ١٤) إذن سقراط وافلاطون يعتبران الشعر تقليد ومحاكاة ابداعية من الطبيعة والعالم الخارجي وخيال الشاعر يؤثر ويطور هذه الصورة الشعرية التي تحاكي العالم الخارجي. الشاعرة بشرى البستاني أيضاً تعتقد أن الصورة الشعرية هي الرسم الذي قد رسم بالكلمات بدل الألوان ويمكننا مشاهدة حضور الألوان بشكل مباشر مثل الإستعمال اللفظي للألوان (لون الأحمر، الأخضر ...) أو مشاهدة الألوان بشكل غير مباشر كالبحر الذي يدل على اللون الأزرق والثلج الذي يدل على البياض و....

كانون الثاني، ٢٠١٢ م: ٩٤-٩٥) ٨

يقول احمد الشايب عند شرح مفهوم الصورة الشعرية: «قد تكون في عقلي فكرة خاصة أحاول نقلها إلى عقلك أو أحاول نقل صورة منها إلى عقلك معتمداً في ذلك على اللغة الشفوية أو الكناية فينتج من ذلك لفظ يعبر عن فكرة وهو ما يسمى علماً، فإذا كان الذي عندي عاطفة وفكرة ثم أدتاهما إليك كان ذلك أدباً، وإذا كانت الأفكار هي الغرض الأول من الكلام، ودخلت العاطفة لتبعث في الأفكار روعة وقوة كان الناتج أدباً عاماً كالتاريخ والنقد وإذا كانت العاطفة هي الغاية الأولى والفكرة سندا لها فإننا نظفر بأدب خاص يُعد من الفنون الرفيعة كالشعر والنثر القصصي».

(شايب، ١٩٩٤ م: ٢٤٢) ٩

الدور الذي تؤديه الصورة الشعرية:

١ - الدهشة بمعنى لفت انتباه المتلقي؛ الكشف بعنى أنها تساعد المتلقي على فهم المعنا؛ والتغير بمعنى التأثير على المتلقي.

٢ - اثبات العلاقة بين اللغة والحواس الخمسة وتكون في هذه الحالة الحواس بمثابة الجسر بين العالم الخارجي ونفس المتلقي.

٣ - على رغم من كلماتها المحدودة إلا أنها تحدث حركة بين العناصر الطبيعية ونفس المتلقي.

٤ - تقوم بإثارة خيال المتلقي بعملية عكسية بمعنى أن الشاعر قام برسم الصورة من مادة مفككة والمتلقي يأخذ الصورة ويفككها حسب قدرته العقلية والتخيلية. ١٠ (ابوشريفه

ولافي قزق، ٢٠٠٨ م: ٦١-٦٢)

إذن الصورة الشعرية التي تعكس لنا طريقة تفكير الشاعر هي نتيجة تدخل خيال الشاعر فيما يتلقاه من العالم الخارجي والمفاهيم البسيطة.

سوف نشير إلى أن الخيال هو عنصر أساسي في الشعر ويشير إلى أن الخيال هو نتيجة العاطفة. وفي الواقع «لغة الشعر هي لغة العاطفة؛ لأن غاية الشعر التأثير والإيحاء بالمعنى». ١١ (ابوشريفه ولافي قزق، ٢٠٠٨ م: ٤٦)

الخيال

يذكر ابن سينا عند شرح مفهوم الإصطلاح لـ شعر بأن: « الشعر هو كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونه متساويه وعند العرب مقفاه » ويقدم السجلماسي أيضاً نفس المعنى: « الشعر هو الكلام المخيل، المؤلف من أقوال موزونه متساويه ووعند العرب مقفاه ». ١٢ (مطلوب، ٢٠١١م: ٢٦٥)

إذن الصورة هي نتيجة الخيال ويعد الخيال أداة أساسية لنقل تجربة الشاعر. ١٣ (الخفاجي، ١٩٩٥ م: ٦٠ / زايد [دون تا]: ٧٤) الخيال مرتبط بالعاطفة ارتباطاً شديداً، وكلاهما موضح للفكرة في نفس المتلقي، فالصورة تخلق أحاسيس معينة وهذه الأحاسيس هي العواطف. ١٤ (ابوشريفه ولافي قزق، ٢٠٠٨ م: ٤٠) بناءً على ما قيل، نجد أن الخيال هو أداة مهمة لنقل التجارب العاطفية، وكل هذه الصور الخيالية تحمل عواطف الصادقة للشاعر. إذن يقوم الخيال بالدور الأساسي في تشكيل الصورة الشعرية وصياغتها، والعاطفة لها دوراً هاماً في دفع الخيال



السمو والعلو. ٢٢ (الخفاجي ١٩٩٥م: ٤٧-٤٨)

لقد ذكرنا كيف تنتقل العاطفة بواسطة الخيال والصورة الشعرية إلى الآخرين ويوضح احمد الشايب ما هي الصورة الأدبية بواسطة شرح كيفية نقل العاطفة من الشاعر إلى المتلقي ويقول: يلجأ الشاعر الى وسائل غير مباشرة ليوقظ بها النفوس ويهيج العواطف، وهذه الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا الى قرائه تدعى «الصورة الأدبية». ٢٢ (الشايب، ١٩٩٤: ٢٤٢)

صورة الليل في شعر بشري البستاني
تأسيساً على ما تقدم نقول بأن قصائد بشري البستاني هي محاكاة لواقع العراق المريع. عبرت الشاعرة في صورتها الشعرية عن معاناة شعبها الحزين الذي احتواه الإحتلال وتدعو في هذه الصور مقاومة العدو وحياط مشاريعه المدمرة للعراق، فجاءت صورتها مزيجاً من الأوجاع والأمل والتفاؤل.

لفت إنتباهنا من خلال متابعة قصائد بشري تكرار كلمة الليل اكثر من ٢٨٢ مرة في مجموعة دواوينها الشعرية، ويدل هذا الأمر على عواطفها الحزينة التي رسمت صوراً حزينة وموجعة بنفس الوقت، فكثيراً ما تختار الشاعرة الليل صورة في قصائدها. الليل هو الزمن الذي يرتبط به الخوف والغموض، فإستخدامها لهذه الصورة جاء مناسباً لحالتها المتوترة والحزينة.

تصور بشري حبها لوطنها، وهذا الحب يبرز لنا العاطفة الصادقة للشاعرة. كما أنها تعبر عن الظروف والأوضاع

فيها نفس الأديب والشاعر بموضوع أو فكرة أو مشاهدة، وتؤثر فيه تأثيراً قوياً، يدفعه إلى التعبير عن مشاعره والإعجاب عما يجول بخلده، فالعاطفة هي الانفعال، ولها أهميتها في النص الأدبي، فهي عنصر من أهم عناصره. ٢٠ (الخفاجي، ١٩٩٥م: ٤٢-٤٤)

أنواع العاطفه

- ١ - العواطف الشخصية: مثل العشق، الحقد، الأنانية، حب مساعدة الغير، التضحية و...
- ٢ - العواطف المؤلمة: هي العواطف التي تثير آلام وحزن وتؤدي إلى شعور النقص في الحياة مثل: الحسد، الغضب، اليأس، الظلم و... ٢١ (الخفاجي، ١٩٩٥م: ٤٤-٤٥)

٤ - ٦ معيار قوة العاطفه

- ١- صدق العاطفه: العاطفه المستتارة من الواقع الموجود وتجربة حقيقية.
- ٢- قوة العاطفه: ليس المقصود من قدرة العاطفه هو الغضب والجمل الجارحة بالعكس قد يكون لعاطفه هادئة تأثير أقوى بكثير من عواطف الغضب والثورة.
- ٣- ثبات واستمرار العاطفه: بمعنى استمرار العاطفه في كل النص.
- ٤- تنوع العاطفه: تنوع وتوسيع مجال العواطف أفضل واكبر الشعراء هم الذين يمتلكون القدرة على إثارة مختلف أنواع العواطف مثل الحب، الحماسة، الدهشة، الشفقة و...
- ٥- سمو العاطفه: يتفق جميع النقاد على اختلاف العواطف في درجة

لتشكيل الصورة الشعرية.

الأدب هو تفسير الحياة واستخلاص معانيها، ومن الواضح أن استخراج معاني الحياة والتعبير عنها مرتبط بقوة عاطفة التي يمتلكها الإنسان. ١٥ (أحمد أمين، ١٩٦٧: ٤٠) والخيال يؤدي إلى إثارة المشاعر والعواطف. ١٦ (أحمد أمين، ١٩٦٧: ٥٤)

الخيال هو القدرة الكاملة لتكوين الصور. والصور هي عماد الشعر والإلهام فهونظم كالشعر التعليمي الذي يعتمد على تقديم الحقائق والأفكار. الصورة جوهر فن الشعر وليست حلى زائفة؛ لأن المعنى الشعري يتولد من تلك الصور والخاصية المميزة للشعر ليست وجود الأخيلى وإنما هي الطريقة التي تستخدم بها. ١٧ (ابوشريفه ولافي فزق، ٢٠٠٨م: ٥٨-٥٩)

دور الخيال في الصورة الشعرية

- ١- يعطي الأسلوب قوة وروعة.
 - ٢- الخيال لغة العاطفه ووسيلة تصويرها.
 - ٣- الخيال عنصر ضروري لإيقاظ العواطف.
 - ٤- الخيال يضيف على قاموس اللغة معاني جديدة.
 - ٥- يجسم المعاني ويقرب الأفكار إلى القراء. ١٨ (ابوشريفه ولافي فزق، ٢٠٠٨م: ٤٢)
- اذن الخيال هو اساس الصورة الأدبية والعاطفه هي التي تستدعي لنا خواص الصورة بعبارة أخرى الخيال هو أهم عنصر لإثارة العاطفه. ١٩ (الشايب، ١٩٩٤: ٢٤٢) والشعر يؤثر على النفوس بسبب إثارة العواطف. «العاطفه أو الإنفعال في فن الشعر نعني بها الحالة التي تشعب

« الياسمين غفا »: الياسمين زهور صغيرة بيضاء لها رائحة جميلة وهي عادة تعانق النوافذ والأبواب وسياح الحداق صعودا جماليا وهي عادة تقييم علاقة حميمة مع الليل، فإنها تبعث رحيقها الروحي في الليل وتملاً أرجاء المكان لتدب العابرين على وجودها. ذكرها الشعراء كثيرا في شعرهم وهي ترمز غالبا إلى « الحب والحنان الدافئين » ٢٦ (القدس العربي، مارس ٢٠١٥)، وكان استخدمتها الشاعرة بنفس المعنا هنا ايضا بعبارة أخرى: لأن تهدي هذه الزهرة رحيقها للعابرين اذن نوم الياسمين يدل على نوم الجميع، فنامت هي ايضا لأن لم يبق عابرا لكي تهتم به.

«سرو»: السرو والمعمرة ودائمة الخضرة التي تشتهر بشجرة الحياة، هنا أيضا استخدمت بنفس المعنى، حتى هذه الشجرة أيضا تستعد للنوم.

« الطيور »: كلنا نعلم أن الطيور عنوان ورمز السلام، نامت هذه الطيور أيضا، ولكن فجأة علا صوت صافرة الإنذار واستيقظ الجميع بخوف وفزع (البيت، زهرة الياسمين، السرو والطيور).

استعمال المناسب لفعل « فز » يزيد من رعب ورهبة الصورة التي نقلتها الشاعرة لنا.

عندما تخاف زهرة الياسمين التي هي عنوان المحبة والحنان، ويخاف السرو الذي هو رمز الحياة وعندما تخاف الطيور التي هي عنوان السلام، ومادام يحدث هذا الحدث في الليل، لا بد من أن تخاف الشاعرة لأن كل هذا الرعب يدل على أن الحياة في خطر، لذا تتساءل الشاعرة بخوف وقلق: من سيموت بأخر

الذي تراه. الواقع الذي اثار عواطف الحزن لديها وكما هو واضح تحاول الشاعرة أن تقوم بنقل عواطف الحزن هذه إلى المتلقي عبر صور الليل.

في قصيدة « بانتظار القصف » نرى بأن الشاعرة من أجل أن تقدم لنا صورة لجوهدي وجميل يدمره علوصوت صفارة الإنذار، إضافة إلى اعطاء سمة التشخيص لزهرة الياسمين والسرو تستخدم المعاني الرمزية لهاتين الكلمتين أيضا:

دَقَّتِ الصَّافِرَةُ..

سَتَاتِي الصَّوَارِيحُ

مُنْتَصِفُ اللَّيْلِ هَذَا

وَبَيْتِي كَانَ عَلَى وَشَكِّ النَّوْمِ

الْيَاسْمِينُ غَفَا

السَّرْوُ كَانَ سَيَغْفُو

على صوتها فز سرب الطيور ٢٥ (مكابدات الشجر، ٣٣٩)

تبدأ القصيدة بإطلاق الصوت، الصوت الذي يدمر هدوء الجميع. طبعاً الليل عند الشاعرة رمز الظلم، الخوف، الرهبة، الحزن والهم.

سماع صوت صفارة الإنذار وعند سكون وهدوء منتصف الليل المظلم يزيد من شدة رعب والخوف إزاء الوضع المرير الذي يواجهه وطن الشاعرة.

و« البيت » هنا مجازاً من المواطنين الذين قد استعدوا للنوم وفجأة سرق صوت صفارة الإنذار الذي يوحي بوقوع خطر قريب، النوم من عيونهم لكي يثير مشاعر الخوف والقلق في نفوسهم.

اعطت الشاعرة بمساعدة خيالها واسلوب التشخيص صفة انسانية لزهرة الياسمين وشجرة سرو لكي تعرض لنا صورة هادئة قبل سماع الصوت.

المختلفة التي يمر بها وطنها. في هذه الأبيات تخاطب الشاعرة معاناة وطنها وبأسلوب التعجب والدهشة لكي تصور لنا شدة ظلمة وقساوة الليل الذي خيم على بلادها: أهذا ليك يا وطني؟ ما أطولهُ.. ما أسودَّ خَصَلَاتِ ذَوَائِيهِ.. ما أصْبَرُهُ..

مَرَّتْ قَاطِرَةٌ أُخْرَى. ٢٤ (مكابدات الشجر، ٣٣٤)

فوجئت الشاعرة بمشاهدة اليالي الحزينة والمظلمة التي تحيط بوطنها وتعاتب وطنها بواسطة سؤال فيه عتاب ولوم خفي وحزن وألم صريح وملحوظ. وبواسطة استخدام اسلوب التعجب، تعلن وتظهر غضبها تجاه هذا الوضع. صورة الليل عندها رمز وعنوان اليأس والحزن، الليل بداية الحزن واللوعة للشاعرة. ليل وطن بشري مخيف وحزين.

وبواسطة استخدام الإستعارة توصف لنا حزن وكآبة وطنها؛ فإن تشبيه الليل بشعر طويل وشديد السواد يظهر لنا شدة صعوبة المحنة. استخدام اسلوب التعجب إضافة الى الإشارة بمعاناة وصعوبة هذه الليالي، يشير الى استمرارية ودوام هذه الليالي المظلمة. وتؤكد الشاعرة على هذا الأمر عندما تقول: «مرت قاطرة أخرى». فهي تشبه الليل وهمومه بقاطرة القطار التي تقوم بجر عربات أخرى من الحزن والهم لكي تصور لنا استمرار الهموم والمعاناة في وطنها.

تستمد شاعرتنا من عاطفتها وقدرة خيالها الشعري لكي تصور لنا واقع الزمن



الليل: / طفلي، / أحي. / جارتى / ٩. / يد من سوف تقطع في آخر الليل، / أوسأفقه ٩، / جسم من سنهشم ٢٧٩ (مكابدات الشجر، ٢٤١) وكأنها متأكدة من موت أحد أحيائها في نهاية الليل.

تحدث اغلب الحوادث في شعر بشرى البستاني عند توقيت الليل وتستمد الشاعرة من قوة الخيال، الإستعارة والمجاز لكي تصور للقارئ الظلام الذي يحيط بيلدها:

كان البيت يرتب في الأدراج أحزانه
ويطوي أمانيه في حقائب منسية
وعلى رفوف الصمت يصفق أقداحه.

في الفجر صحا البيت محموماً،
وراح يعزف على عود أخضر.

جاءت الريح فعبرته ولم تتخلله.

بكى البيت سرا وراح يختبئ في جذع المنى
بكت الأمانة هاربة إلى حضن النهر
اشتعل النهر بما فيه ووقعت الواقعة ٢٨
(البيسي شالك الأخضر، ١٢)

تتصور البيت كإنسان يقوم بترتيب احزانه في الأدراج وكأن هذه الأحزان هي بمثابة الملابس الذي يرتديها، ويقوم بجمع أماله في حقائب منسية وكأنه قطع الرجاء والأمل. كل هذه الصور ترتب الهموم في الأدراج، طي الأمال التي هي كناية عن اليأس ورفوف الصمت، تدل على شدة حزن الشاعرة ولهذا السبب ترى كل ما حولها حزين وكئيبي.

رغم كل الهموم يستيقظ البيت عند الفجر، «الفجر» هورمز النور والأمل. البيت الذي مصاب بالحمى، بالرغم من شدة المحنة يستيقظ من نومه ويبدأ بالعزف على عوده الأخضر على أمل بداية

حياة جديدة. يحزن البيت بسبب أن تمر الريح ولم تتخله ويبيكي سرا وكأنه لا يزال متمسكا بأمل إعادة الحياة (لأنه استيقظ على أمل جديد وكأن الريح الذي جاء عند الفجر وغالبا ما يأتي ببشارة خير لم يحمل له البشارة التي تسعده)، لهذا السبب يبكي سرا وكأنه لا يزال متمسكا بأمله ويهرب الى حضن النهر، حتى النهر الذي يرمز الى الحياة واستمرارها يتأثر من شدة المحنة ويشتع. طبعاً من العجيب أن يشتمل النهر ويناقض مع صفة الماء التي هي ضد النار، لكن هذا الإشتمال هومثابة ثورة وحدث واقعة رهيبه، ما يؤكد هذا الأمر تناص القرآني مع سوره الواقعه، التي تخبرنا بوقوع امر مخيف جدا.

في هذه الأبيات على الرغم من كل المعاناة تستعيد بشرى قوتها وتقاوم بأمل الحرية.

آه. تسعى الثعابين

في روض روجي.

وأصرخ في حومة الليل،

أصرخ. لا.

لئن يمرّوا. ٢٩ (مكابدات الشجر، ٣٤٣)

تصور لنا الشاعرة هدوها النفسي بروضة خضراء ترمز الى الأمل وتسعى الثعابين التي ترمز الى العدوان نحوها وبعد ذلك تختار اصعب واشد توقيت للصراخ لكي تشير إلى قوتها وعزمها لمقاومة مشاريع العدو وينفس الوقت لتشير الى صعوبة المحنة التي تواجهها. هذه الظروف الصعبة والقاسية لم تضعف عزيمة الشاعرة.

في الأبيات التالية نرى الشاعرة غاضبة من الخوف، السكوت والحزن الذي يحيط وطنها فتثور وتقول:

وأثور..

وأعني..

وألعن الصمت الذي يزغ في الأرض
تعتني..

ألعن الحزن الذي يسكن جوف المقبرة..

والليالي المقصرة..

أعين البرق التي تقطر في قلبي نور

مرت اليوم على أشلاء موتانا وعادت

تملاً الحقل بذور.. ٣٠ (ما بعد الحزن،

٦٢٧)

الشاعرة تقاوم وتثور. وتعني لكي تتحدى الصمت الذي يسيطر على كل الأمانى والأمال. الصمت هنا يشبه الإنسان الذي يزغ حبوب التمني (كناية من طلب شيء تحبه ولكن لا ترجى حصوله كونه مستحيلاً). هي تكره السكوت والسكون الذي يسكن المقابر فهي تعتقد بأن الصمت والسكون إزاء الوضع الموجود يولد الهموم والأحزان. وتساعد البرق (هنا رمز الضوء والنور) الذي دخل قلبها لكي يبعث النور (رمز الأمل والحركة) في ظلمات الحزن ويحيط أنواره كل الأفاق. النور يشبه قطرات الماء (رمز الحياة واستمرارها) التي تحيي قلب الشاعرة. بعبارة أخرى تعتبر الشاعرة أن القلب الحزين ميت وعادت دقات هذا القلب تبيض بعد دخول النور عليه. وتؤكد هذا الأمر عندما تقول: «مرت اليوم على أشلاء موتانا وعادت»، يمر هذا البرق على أشلاء الموتى مع كل ما يملك من النور ويعيد الحياة والحركة لهم ويظهر لهم نور المقاومة.

زرع بذور الأمل وبواسطة النور يدل على بداية تحول جديد وتفاؤل الشاعرة وأملها بمستقبل مشرق للعراق.

طبعاً لم تنسى الشاعرة مشاكل التي

تُمدُّ على حين غَرَّةٍ.
يَلِمُ عِبَاءَهُ، يَسْتَرِيْبُ.
وَيَقْفُلُ نَافِذَتِي وَيَغِيْبُ. ٣٤ (اقبل كف
العراق، ٤٤١)

«العنوان سمة العمل الفني أو الأدبي
الأول، من حيث هو يوضم النص الواسع
ويختزن فيه بنيته أو دلالاته وكليهما في آن.
وقد يضم العنوان الهدف من العمل ذاته،
أو خاتمة القصة وحل العقدة فيها». ٢٥
(قطوس، ٢٠٠١ م: ٣٩) إذن يعد العنوان
عنصر ذات أهمية عند قراءة النصوص
الشعرية وبصورة أوبأخرى يعد ملخص
وعصارة المعاني الخفية في القصيدة.

بدأت الشاعرة القصيدة بعنوان
«الليل»، وبهذه الطريقة تُسلط الضوء
على الظلام والسكون المحيط بوطنها
وتلفت نظر المتلقي بصعوبة المحنة
التي يمر بها بلدها. الليل هوزمن الذي
تحتشد فيه الهموم واليأس، كما أن الليل
يوحي بالسكون والوحدة، والخوف، وعدم
التحرك.

جاء اختيار الشاعرة لهذا الوقت من
الزمن مناسباً بسبب الأوضاع المتوترة
في بلدها. ومراقبة الليل لها في الذهاب
والإياب يزيد من اضطرابها ويقيدها،
فالشاعرة هنا تتمثل النور الذي يقابل
الظلام.

كما ذكر غالباً ما تختار الشاعرة
الليل صورة لكي تعبر عن شدة المحنة التي
يعاني منها وطنها وتستخدم رمز الليل
لكي تدل على عدة معاني مثل السكون،
السكون، الخوف، الوحدة، الظلام، الفزع
والقلق....

الشاعرة قلقة ومتوترة من ترُّب
ومراقبة الليل المستمرة لها. ومنزعجة

مُسالِم وكريم، وتقدم الليل هنا بصورة
مختلفة، فتقول:

يَتَلَخَّلُ حُبُّكَ فِي قَلْبِي.
كَجذورِ صَنوبرِةٍ فَرَعَاءُ.
يَتَفَتَّحُ حُبُّكَ فِي قَلْبِي
كَنُجومِ الصَّيفِ البَرِّيَّةِ
يَتَمَشَّى عَطْرُكَ فِيَّ

كالليل الرطب بغاب الورد ٣٣ (ديوان
الأغنية والسكين، ص ٥٨٥)

تصور لنا الشاعرة حينها لوطنها
كجذور شجرة الصنوبر الفرعاء. ترى هذا
الحب الدافئ كالنجوم الزاهرة والمضيئة
التي تنير الصحراء في الصيف. جاءت
الصحراء هنا كرمز يدل على البلاد
العربية ولون الأصفر لصحراء والنجوم
يدل على الوضوح والإنارة وزوال الظلمة
والظلام. ورائحة هذا الحب يشبه عطر
ليل الرطب في غابة من الورد. فهنا نرى
الشاعرة لا تخاف من الليل، بالعكس تحب
سكون وهدوئه الذي يجعلها أن تشعر
برائحة حب وطنها الزكية لأن النجوم
والصحراء تتورط طريقها.

في النهاية تقدم قصيدة الليل لكي
نوضح مدى سيطرة وتحكم صورة الليل في
شعر بشري البستاني:

«الليل»
يُظِلُّ يَراقِبُنِي،
يَسْتَبِيحُ سُكُونِي..
ويَفْتَحُ دُرُجَ شُجُونِي،
ويَنشُرُها فَوْقَ حَبْلِ عَصِي...
أطاولُه.
أَسْتَفْزُ مُواجِعُه..
يَتَرَبِّعُ أَرْضاً،
ويُشْعِلُ لُفَافَةً،
ويُواصلُ.

تعاني منها نساء وطنها وتقوم بمقاومة
كل الأفكار والمعتقدات التي تمزج وتبعد
المرأة من الحضور في المجتمع وهي مؤمنة
بأنها ستنجح وستأتي بالبشارة عبر ليل
معتقداتهم الموحشة والمظلمة:

أجِيءُ بِالبِشارة...
يا أَيُّها الرِجالُ..
أجِيءُ عِبرَ ليلِكُمُ وَأَحْمِلُ البِشارة..
مَعِي.. مَعِي هُويَةُ المَدينةِ..
وغيمةُ خُضراءُ..

فالتفتونني قبلما يجف في حنجرتي
الغناء..
لأنني أرفض أن أموت مرتين..
أرفض أن أموت.. ٣١. (ما بعد الحزن،
٦٠٢)

تبدأ القصيدة بالبشارة والخبر
المفرح. تخاطب الرجال وبواسطة
استخدام الإستعارة تقوم بإزالة كل
المعتقدات والقوانين التي تشبه الليل المظلم
وتبشر بمجيء فجر يحمل أخباراً سارة
معه. وبالتالي تقدم المرأة على أنها هي
عنوان وهوية المدينة، فالمرأة هي بمثابة
غيمة خضراء تحمل معها بشارة ولادة
مستقبل مشرق.

في النهاية هي ترفض أن تموت مرتين
لأن هذه العزلة والظلم تقتل النساء في
الحياة.

من الواضح بشري تعشق وطنها ولم
تتساه أبداً. على الرغم كل المعاناة التي
تحيط بوطنها فهي تحب العراق ويبقى
العراق هو المكان الذي نشأت فيه وأكبر
وأهم جزء من ذاكرتها ومشاعرها.

تقول بشري بأن: «العراق وطن
استثنائي ولذلك كان حبي له استثنائياً...
» ٣٢ (الطالبي، ١٩). وتعرف العراق بلداً



أحداث وقضايا وطنها، وأهمها الحرب. كثيراً ما تشير في أشعارها الى الرعب والإستبداد وعدم الأمن والإحتلال والتشرد، بسبب الظروف الصعبة التي مر بها العراق..

وقد إستعانت في رسم صورها الفنية بأدوات التشخيص والإستعارة والتشبيه والمجاز والكنايه و.... وصور الليل من أكثر الصور المستعملة، فهي شخصت الليل ومنحتها بعض الصفات الإنسانية وجعلتها ناطقة، متحركة وأعطتها مشاعرها، كل ذلك لتقريب الصور وتوضيحها في ذهن المتلقي.

وفي الختام نقول: أشعار بشرى البستاني جعلتنا نصغي بعمق الى ما وراء السطور، وما وراء السطور هونبض قلبها حين يتألم لوجع الإنسان، وإنه نبض الحياة حين ترفض الوجود وتقاوم وتمنح الأمل وتبشر بمستقبل جميل. وعرفنا أننا لسنا امام مجرد شاعرة تكتب الشعر بل امام انسانة تشعر بمعاناة الآخرين وتتألم وترفض وتقاوم بأمل اعادة بناء الوطن بأجمل صورة.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

يدخل من خلالها النور ويخرج منها الظلام. اذن اغلاق النافذة يدل على سيطرة الليل والظفرة الظالمة التي حتى في غيابها تتحكم بالامور. في النهاية نرى ان القصيدة بدأت بالعتمة والظلام وانتهت بالظلمة بدون وجود ذرة من النور. فأحاطت كل القصيدة مزيج من شعور الخوف والقلق وتصر الشاعرة ان تقدم صورة الليل كرمز عدولابد من مواجهته.

النتيجة :

هذه الصور تمثل خيال الشاعرة وقدرتها الشعرية، فهي تستخدم الصور الحزنية، وتعلن بواسطتها رفضها وضع العراق المرير وتدعوأمتها إلى الصمود والمقاومة في وجه العدوان.

تصور بشرى حبها لوطنها وهذا الحب يبرز لنا العاطفة الصادقة للشاعرة كما أن هذه الصور تمثل خيال الشاعرة وقدرتها الشعرية، نجد الشاعرة تصور لنا حبها الصادق لوطنها وشعبها متجاهلة كل الظروف الصعبة ومتفائلة لدرجة أنها تؤمنُ بمستقبل مُشرق وسعيد.

في النهاية نقول: أن لبشرى أسلوب خاص يميزها عن بقية الشعراء. فهي في كثير من قصائدها الشعرية تذكر آلام واوجاع شعبها. وتناول شعرها كثيراً من

من استباحة هيوئها وفتح ادراج الأحزان، فهي تقصد أن فقدت شعور الأمان والطمأنينة وعادت الأحزان مرة أخرى وكأنها تحاول أن تتخلص من كل الهموم والأحزان ولكن سلطة الليل لا تسمح بذلك. تصوّر نشر الأحزان على حبل عصي يزيد من معاناة الشاعرة. استخدام فعل اطاوله يدل على محاولة وجهد الشاعرة لمقابلة هذا العدو.٣٦ (الوسيط، ٥٧١)

في البداية تتغلب على هذا العدو ولكن لا يستمر هذا الأمر بسبب قدرة الليل المظلم وتظهر لنا الشاعرة هذا الأمر من خلال استخدام فعل «يتربع» وفي النهاية بصورة مفاجئة يقفل الباب ويغيب، فنرى أن استعمال « على حين غرة » جاء مناسباً تماماً مع اجواء الخوف والقلق المسيطر على القصيدة أي أن أمر غير متوقع يؤدي إلى فزع وخوف الشاعرة.

استخدام اللفافة يدل على عدم اهتمام العدو لما يحدث وسيطرته على الأمور، لم العباءة أيضا يدل على امتداد ظلمة الليل. فعل « يستريب » يبين لنا مدى شك وقلق العدوبالنسبة «للعقل المنور والمقاوم للإستبداد» لهذا السبب يقوم الليل بإغلاق النوافذ ويغيب.

النافذة هي رمز النظرة والعقلية المنفتحة والمنافية للظلم وهي الكوة التي



- ١٠ مدخل الى تحليل النص الأدبي، ص ٦١ - ٦٢.
- ١١ نفسه، ص ٤٦.
- ١٢ أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، چاپ اول، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، ٢٠١١ م، ص ٢٦٥.
- ١٣ محمد عبد المنعم الخفاجي: مدارس النقد الادبي الحديث، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة - مصر، ١٩٩٥ م، ص ٦٠ / على عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط ٤ مكتبة ابن سينا، قاهره - مصر، [دون تا]، ص ٧٤.
- ١٤ مدخل الى تحليل النص الأدبي، ص ٤٠.
- ١٥ النقد الأدبي، ص ٤٠.
- ١٦ نفسه، ص ٥٤.
- ١٧ مدخل الى تحليل النص الأدبي، ص ٥٨ - ٥٩.
- ١٨ نفسه، ص ٤٢.
- ١٩ اصول النقد الأدبي، ص ٢٤٣.
- ٢٠ مدارس النقد الأدبي الحديث ص ٤٣ و ٤٤.
- ٢١ مدارس النقد الأدبي الحديث، ص ٤٤ - ٤٥.
- ٢٢ مدارس النقد الأدبي الحديث، ص ٤٧ - ٤٨.
- ٢٣ اصول النقد الأدبي، ص ٢٤٢.
- ٢٤ الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان مكابيات الشجر، قصيده الأسوار، ص ٣٣٤.
- ٢٥ الاعمال الشعرية الكاملة، ديوان مكابيات الشجر، قصيده بانتظار القصف، ص ٣٣٩.
- ٢٦ <http://www.alquds.co.uk/?p=٣٠٤٢٢٥>.
- القدس العربي، رمزية الزهور في الشعر العربي المعاصر، ٣ مارس، ٢٠١٥.
- ٢٧ الاعمال الشعرية الكاملة، ديوان مكابيات الشجر، قصيده بانتظار القصف، ص ٣٤١.
- ٢٨ ديوان البسي شالك الأخضر وتعالى، قصيده في الخلوة اعلمك كل شيء، ص ١٢.
- ٢٩ الاعمال الشعرية الكاملة، مكابيات الشجر، قصيده بانتظار القصف، ص ٣٤٣.
- ٣٠ الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان ما بعد الحزن، قصيده المخاض، ص ٦٢٧.
- ٣١ الاعمال الشعرية الكاملة، ديوان ما بعد الحزن، قصيده كلمات قصيره، ص ٦٠٢.
- ٣٢ على مولود الطالبي، حوار مع الشاعر العراقي بشري البستاني، نسخه خاصه بموقع أ.د. بشري البستاني، ص ١٩.
- ٣٣ الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان الأغنية والسكين، قصيده الوطن، ص ٥٨٥.
- ٣٤ الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان اقبل كف العراق، قصيده الليل، ص ٤٤١.
- ٣٥ بسام موسى قطلوس: سيماء العنوان، ط ١، وزارة الثقافة، عمان - اردن، ٢٠٠١ م، ص ٣٩.
- ٣٦ المعجم الوسيط، ماده (طال)، (مطاول في الشيء: غالبه وباراه)، ص ٥٧١.